المبحث الأول

الاستشراق والمستشرقون

obeikandl.com

obeikandl.com

الاستشراق والمستشرقون

قبل أن نعرض للفكر الإسلامى فى نشأته وتكوينه وقبل أن نبحث فى أصوله وحركته ونتتبع تطوره وإمكانية ردوده على خصومه وقبل أن نصدر حكمًا فى النهاية سلبًا أو إيجابًا على قدراته نود أن نتعرف أولا على من سبقنا فى هذا الميدان ونعرض لمختلف الاتجاهات فى هذه الدراسات التى تمت من جانب الباحثين سواء مستشرقين أوربيين أو عرب مسلمين.

حقيقة لقد اهتم بدراسة الفكر الإسلامى بادئ ذى بدء المستشرقون فتناولوا تراثنا العربى والإسلامى بالبحث والكشف والصيانة والفهرسة ولم يقفوا عند هذا الحد بل عمدوا إلى دراسة هذا التراث وتحقيقه ونشره وترجمته والتصنف فيه[1]. وزاد البعض فأصدر أحكامه عليه، وقد روّج لها بالاتهامات الباطلة والافتراءات المضللة. و سميت هذه الحركة بالاستشراق، وقد خصصوا لها المعاهد والمطابع والمجلات وأصبح لها أثر كبير فى العالم الغربى والعالم الإسلامى على السواء، وإن اختلفت ردود الفعل على كلا الجانبين إلا أن الاستشراق أصبح يشكل شبكة المصالح الكلية التى يستحضر تأثيرها بصورة لا مفر منها فى كل مناسبة.. يكون فيها ذلك الكيان العجيب (الشرق) موضوعًا للنقاش[2].

وباختصار شديد فإن الاستشراق orientalism فى حقيقته هو **العلم الذى اهتم بدراسة الشرق بكل ما فيه من علوم وآداب ولغات وحضارة وأديان**[3].

والمستشرقون orientalists هم هؤلاء الباحثون الغربيون الذين لفت نظرهم علوم هذا الشرق فاهتموا بمعرفة لغته ودراسة أدبه والتعرف على أديانه وإصدار الأحكام على هذه العلوم والأديان حتى أنهم انشغلوا بدراسة تراثنا العربى الإسلامى أكثر مما شغلوا بأنفسهم، كما قال ديجا مؤلف كتاب تاريخ المستشرقين

---

(١) نجيب العفيفى، المستشرقون (المقدمة).

(٢) إدوارد سعيد، الايستشراق، ص٣٩، ترجمة كمال أبو ديب.

(٣) د. محمود حمدى زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى، ص١٨.

فى أوربا إذ قال: «إن المستشرقين قعدوا عن تصنيف تاريخ الاستشراق لشدة تنافسهم فيما بينهم وترصد بعضهم للبعض الآخر»[1]. ويعلق الأستاذ نجيب العفيفى على ذلك بقوله: «لدرجة أنهم تركوا مصادر الاستشراق موزعة على المجلات والحوليات وفهارس المكتبات مبعثرة وكتب التراجم الخاصة بالشرق ودوائر المعارف العامة غير مستكملة»[2].

وهكذا نجد أن موضوع الاستشراق يفرض نفسه علينا بإلحاح عند دراستنا للفكر الإسلامى ويتطلب منا وقفة تأملية جادة لبحثه ودراسة أبعاده وأهدافه، ونعرض لاتهاماته وادعاءاته بالنسبة للإسلام والمسلمين، ويجعلنا نتساءل لماذا كل هذا الحماس من جانب المستشرقين؟ هل هو من أجل خدمة التراث العربى الإسلامى، أم أن هناك أهدافا أخرى سعى إليها الاستشراق فى حركته وعمد المستشرقون إلى تحقيقها أو إشاعتها؟ حقا لقد كان هناك بعض الدراسات من جانب المستشرقين تقترب من صفة الحياد والموضوعية والنزاهة العلمية من هؤلاء المستشرقين الذين أسهموا فى تحقيق التراث العربى الإسلامى ونشره فوضعوا المناهج للنقد والتحليل، والقواعد للتحقيق العلمى، والوسائل لقراءة المخطوطات إلا أن هذا الجهد فى النهاية وبكل المقاييس يبقى مظهراً من مظاهر الاحتواء الثقافى الغربى والسيطرة الفكرية الأوربية على الدراسات العربية الإسلامية التى يجب أن تكون من مهمة العرب والمسلمين، وتحث سمعهم وبصرهم ولا تترك لغيرهم، وقد أقامت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم فى القاهرة ندوة علمية لمناقشة إعداد موسوعة الرد على المستشرقين؛ ولذلك ستكون هذه المحاولة من جانبنا لبنة فى هذا البناء ولنبدأ بمعرفة تاريخ الاستشراق وأهداف المستشرقين.

---

(1) Dugat: L historie des orientalistes, p. 11.

(٢) قام الأستاذ نجيب العفيفى بمحاولة جمع جهود المستشرقين فى مجلدات ثلاث ضخمة بين فيها حركة الاستشراق وجهود المستشرقين فى دراستهم لعلوم الشرق والإسلام وسجل تاريخ هذا العلم على مدى ألف عام.

لم يعرف فى الواقع تاريخ محـدد لظهور حركة الاستـشراق وإن كان بعض الباحثين يشـير إلى أن الغرب يؤرخ لبدء الاستشراق الرسمى بصدور قـرار مجمع فيـينا الكنسى فى عام ١٣١٢م بإنشـاء عدد من كراسى اللغـة العربيـة فى عدد من الجـامعـات الأوربية، ولكننا نجـد رودى بارت (Rudi Paret) المستشـرق الألمانى وصـاحب أحـدث ترجـمـة ألمانيـة لمعانـى القرآن الـكريم، يميل إلى جـعل بداية الاستـشراق فترة زمنيـة وليس عامّا مـحددًا؛ ولذلك فقـد أرخ لحركة الاستـشراق بالقرن الثانى عشـر الذى تمت فيه لأول مرة ترجمة معـانى القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية. كما ظهر أيضًا فى القرن نفسه أول قاموس لاتينى - عربى[١].

ولكننا نجد الأسـتاذ نجيب العـقيقى يحـاول أن يرجع الاستشـراق إلى القرن العاشـر الميلادى بدءًا من الراهب الفـرنسى جريردى أورليك الذى قـصد الأندلس وتتلمذ علـى أساتذتها فى أشـبيلية وقـرطبة حتى أصـبح أوسع علماء عـصره من لأوربيين معرفة بالعلوم الإسلامية العربية.

وإذا كان الاستشراق على هذا النحو قـد بدأ من حوالى ألف عام فإن مفهوم مستشرق orientalist لم يظهر فى أوربا إلا فى نهاية القرن الثامن عشر حيث ظهر فى إنجلتـرا عـام ١٧٧٩ ثم فى فرنسـا عـام ١٧٩٩ وأدرج مـفهـوم الاستـشـراق oriantalism فى قاموس الأكاديمية الفرنسى عام ١٨٣٨م[٢].

حقيقة إن الاهتمام بالدراسات العربية الإسلامية فى أوربا قد بدأ مبكرًا عندما أحس الأوربيون بقوة الإسـلام وسعة انتشاره وخـشوا على دينهم وبلادهم من هذا لزحف القادم والخطر الذى يهـددهم فى عقيـدتهم فعمـدوا إلى دراسة هذا الدين الجديد ومعرفة سره العظيم والتعرف على علوم المسلمين.

---

(١) رودى بارت، الدراسات الإسلاميـة العربية فى الجامعات الألمانيـة، ص١١، ترجمة د. مصطفى ماهر، القاهرة، ١٩٦٧م.

(٢) دود نـون: تراث الإسلام، ج١، ص٧٨، ترجـمـة محـمد رهـيـر السـمهـورى، الكويت، ١٩٧٨م.

وقد نشط اللاهوتيون المسيحيون فى البحث والدراسة ومحاربة الإسلام والعمل ضده فأشاعوا الافتراءات والأكاذيب عنه واختلقوا القصص والروايات حوله، وكان لكل ما كتب عنهما أبعد ما يكون عن روح العلم والموضوعية، وقد عبر عن ذلك ساذرن بقوله: «إن الشيء الوحيد الذى يجب أن لا يتوقع وجوده فى تلك العصور هو الروح المتحررة الأكاديمية أو البحث الإنسانى الذى تميزت به الكثير من البحوث التى تناولت الإسلام فى المائة سنة الأخيرة. وقد أكد هذا المعنى البرفسور Watt[1] أستاذ الدراسات العربية والإسلامية فى بحثه عن أثر الإسلام على أوربا فى العصور الوسطى فقال: «من الآن فصاعداً سوف نعترف بأن المؤرخين أو الرواة المسيحيين فى العصور الوسطى Moyenage نقلوا لنا صورة عن الإسلام غير حسنة Maliveillant مما أساء للحقيقة».

ثم أضاف قائلاً: «ولكن بفضل جهود العلماء والباحثين فى القرن الماضى نجد أن فكرة أكثر موضوعية قد وضعت عن الشرقيين.. نحن الأوربيين غير قادرين على الموضوعية إذ أحيانا نقلل من تأثير المسلمين علينا ونقلل أيضًا من تأثيرهم على ميراثنا الثقافى».

فهذه الشهادة من باحثين أوربيين على أعمال مستشرقين غيرهم بأنهم لم يكونوا موضوعيين فى أبحاثهم، إنما دفعهم حقدهم وربما جهلهم بحقيقة الإسلام وعلوم المسلمين على إصدار الأحكام التى أساءت للإسلام، وأنقصت من قدرات المسلمين على النظر والتأمل، وأنكرت عليهم إمكانيتهم فى الفكر والتفلسف، علمًا بأن التاريخ سجل للإسلام والمسلمين تفوقًا فى العلوم والفلسفة التى أقبل على

---

(1) Watt M. Watt: L'influence de l'islam sur L'Europe au college de france en Decembre, 1970.

قام البروفسور وات بإلقاء بحث عن أثر الإسلام على أوربا فى العصور الوسطى فى مؤتمر عقد بالكوليج دى فرانس بباريس، ١٩٧٠م، باللغة الفرنسية كان قد أعده من قبل باللغة الإنجليزية، وقد تميز البروفسور وات بالموضوعية فى دراساته عن الإسلام والفكر الإسلامى، وأثبتت من خلال أبحاثه أثر هذا الفكر على العلوم الأوربية.

دراستهـا وتعلمها شخصـيات أوربية مستنيرة لـها وزنها تتخذ إزاء الإسلام مـوقفًا إيجابيًا، ومن بين هؤلاء كان فريدريك الثانى حـاكم صقلية الذى أصبح إمبراطورًا لألمانيا عام ١٢١٥. وقـد كان فريدريك يعرف العـربية ويتحمس للفلسـفة والعلوم العربيـة التى كانت تدرس بشـغف فى قصـره فى (بالرمو)، وبذلك أصـبحت فى تناول اللاتينيين. وقد أهـدى هذا الإمبراطور وابنه (مايقـرد) إلى جامعـات بولونيا وباريس ترجـمات لكتب فلسـفيـة منقولة عن العـربية، وفى عـام ١٢٢٤م أسس الإمبـراطور جامعة نابولى وجـعل منها أكاديميـة لإدخال العلوم العربيـة إلى العالم الغربى[١]. ولكن سرعان ما ظهر اتجاه آخر ضـد الإسلام كان من دعاته المتحمسين روجر بيكـون ١٢١٤-١٢٩٤ الذى كان يرى التنصـر هو الطريق لمواجهـة الإسلام ومـحاربتـه وشاركـه فى هذا الاتجـاه رايموند لول Raymond Lull ١٢٣٥-١٣١٦ الذى ولد فى إسبانيا وتعلم اللغة العربية، وكـانت له جهود كبيرة فى إنشاء كراسى لتدريس اللغة العربية فى أوربا لتعلم اللغـة العربية، وبها يحاربون الدين الإسلامى ويعـملون على تنشـيط حـركـة التنصـيـر. وقـال بوستل ١٥٨١ الذى يعـد أول المستشرقين الحـقيقيين الذى شغل أول كرسى للغة العـربية فى الكوليج دى فرانس فى باريس أن معرفة اللغة العربية: «تعتبر بوصفها لغة عالمية فى التعامل مع المغاربة والمصريين والسـوريين والفرس والأتراك والتتار والهنود، وتحـتوى على أدب ثرى، ومن يجيدها يستطيع أن يطعن كل أعداء العقيدة النصرانية بسيف الكتاب المقدس، وأن ينقضهم بمعـتقداتهم التى يعتقـدونها، وعن طريق معرفة لغة واحـدة (العربية) يستطيع المرء أن يتعامل مع العالم كله»[٢].

وكان يتباهى بأنه يستطيع عبور آسيا وبلوغ الصين دون مترجم[٣].

وفى القرن السـابع عشر بدأ المستـشرقون فى جمع المخطوطات الإسـلامية، وأنشئت كـراسى للغة العربيـة فى أماكن مخـتلفة، ومما هو جدير بالذكـر أن قرار

---

(١) أوليرى، الفكر العربى ومركزه فى التاريخ، ص٢٣٧، ترجمة إسماعيل البيطار.

(٢) رودى بارت، الدراسات الإسلامية العربية، ص٣٩-٤٠.

(٣) إدوارد سعيد، الاستشراق، ص٨١.

إنشاء كراسى اللغة العربية فى جامعة كمبردج ١٦٣٦م قد نص صراحة على خدمة هدفين أحدهما تجارى والآخر تنصيرى.

من هذا كله يظهر أنه كـان هناك توافق بين الاستشراق والتنصـير إن لم يكن هنك تماثل فى القصد بـين المستشرق الأكاديمى والمبشـر الإنجيلى، وعلى الرغم من ذلك نجد أن نهاية القرن السابع عشر قد شهدت تحولاً فى وجهة النظر تجاه الإسلام وأصبح ينظر إليه نظرة محايدة فيها جانب من الموضوعية شجع عليها ظهور النزعة العقلية المتحررة من سلطة الكنيسة، وقد مثل هذا التحول المستشرق ريتشارد سيمون Richard Simon الذى أعجب بالإسـلام وعاداته، ظهـر ذلك فى كتـابه (التاريخ النقدى لعقائد وعادات أمم الشرق) ١٦٨٤م.

وقد اتهمه أرنولد Arnould بأنه كان فى حديثه عن الإسلام مـوضوعيًا أكثر من اللازم. فنصـحه سيـمون بأن يتـأمل التعاليـم الأخلاقيـة الرائعة للأخـلاقيين المسلمين(١).

وسار فى هذا الاتجاه الجـديد العديد من الباحثين المستشرقين الذين أعجبوا بالإسلام وقوته وسماحته.

وتوالت المحاولات العلميـة الجادة للتعرف على الإسـلام، وقد كان هادريان ريلاند Hadrian Reland ت١٧١٨م أستـاذ اللغات الشرقـية فى جامـعة أوترشت بهولنـدا أول من كتب عن الإسلام مـجلدين باللغة اللاتيـنية أولهمـا فى العقـيدة الإسلامية معتمداً على مصادر عـربية لاتينية، وفى الجزء الثانى قام بتصحيح الآراء الغربية التى شاعت عن الإسلام.

وقد أشار ريلاند فى مقدمة الكتاب إلـى ما تتعرض له كل الأديان باستمرار من جانب خصومهـا، إما بعدم فهمها أو برميها بـكل سوء بطريقة تنبئ عن قصد خبيث، ويضيف قـائلاً أن الإسلام قد تعرض لمثل ذلك من جانب خصـومه مثلما

---

(١) رود نسون: تراث الإسلام، ج١، ص٦٤-٦٧.

تعرضت الأديان الأخرى. ويؤكد ريلاند «أن المرء يصح له حقًا أن يبحث عن الحقيقة حيثما كانت»، ولكن ريلاند لم يستطع أن يستمر فى موضوعه طويلا، فأضاف «أن الأحرى هو أن يسعى المرء للتعرف على الإسلام فى حقيقته لكى يحاربه بطريقة أكثر أمانًا، وأشد قوة»، ويعلق الدكتور محمود زقزوق على ذلك بقوله: «إن عبارات ريلاند الأخيرة هذه لم تتجه من بطش الكنيسة التى لم تقتنع بهذه المبررات، فحرمت تداول الكتاب لأنها لم تكن تريد للحقيقة أن ترى النور حتى يطلع عليها جمهور الناس»[١].

ويستطرد الدكتور زقزوق قائلاً: ولكن هذه الأمثلة من المحاولات الجادة فى التعرف على الإسلام عن قرب وبلا أحكام سابقة، لم تستطع أن ترسخ فى الفكر الأوربى تيارًا عامًا، ولم تستطع أن تقضى تمامًا على الصورة المشوهة للإسلام فى أذهان الأوربيين والتى ما زالت عالقة بها حتى اليوم[٢].

وفى القرن الثامن عشر بدأ الاستشراق يتخفف من سيطرة اللاهوت، وبذلك خفت حدة الاتهامات ضد الإسلام، وأعيد النظر فى الاتهامات السابقة، وأصبح المسلمون فى عصر التنوير أناسًا مثل غيرهم، وكثير منهم كانوا يفضلون على الأوربيين[٣].

وفى القرن التاسع عشر بدأ الاستشراق يتشكل كعلم تما يقول بارت[٤]، وظهرت نزعة علمية نتيجة دراسة الآداب والعقائد الشرقية لذاتها مستهدفة المعرفة وحدها[٥].

وما إن انتهى القرن التاسع عشر حتى أصبحت الدراسات الإسلامية تخصصًا قائمًا بذاته داخل الحركة الاستشراقية وكان من أشهر رجالها نولدكه،

(١) الدكتور محمود حمدى زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية، ص٣٥.

(٢) المرجع السابق، ص٣٦.

(٣) تصنيف تاخت ويورووث وترجمه د. محمد زهير السمهوري، ج١، ص٦٨.

(٤) بارت، الدراسات الإسلامية والعربية فى الجامعات الألمانية، ص١٧.

(٥) د. إبرهيم اللبان، المستشرقون والإسلام، ص١٥، ملحق بمجلة الأزهر، صفر، ١٣٩٠هـ.

وجولدتسيهر، وفلهاوزن وأصبح للاستشراق مجلات ودوريات تزيد على ثلاثمائة مجلة متنوعة بمختلف اللغات. وعقدت المؤتمرات الدولية للمستشرقين للتعرف بصورة مباشرة على أعمال بعضهم البعض، ولا تزال هذه المؤتمرات تعقد بانتظام حتى الوقت الحالى. واستطاع الاستعمار أن يسيطر على بعض المستشرقين ويجندهم لتحقيق أهدافه فى الشرق، والإساءة للإسلام والمسلمين، يقول المستشرق الألمانى المعاصر فيلد: «والأقبح من ذلك أن توجد جماعة يسمون أنفسهم مستشرقين سخروا معلوماتهم عن الإسلام وتاريخه فى سبيل محاربة الإسلام والمسلمين. وقد عمل كثير من المستشرقين كمستشارين سياسيين للمستعمرات الأجنبية فى الشرق وكان هدفهم إضعاف المسلمين فى عقيدتهم حتى يسهل قيادتهم»[1].

هذا بالنسبة للمستشرقين النصارى، أما المستشرقون اليهود فقد دخلوا المجال بوصفهم أوربيين لا بوصفهم اليهودى. وقد استطاع «جولدتسيهر» فى عصره -وهو يهودى مجرى- أن يصبح من أكبر المستشرقين فى مجال الدراسات الإسلامية. ويوضح الدكتور البهى السر فى إقبال اليهود على الاستشراق لأسباب دينية وسياسية تقول أن السبب الدينى هى محاولتهم إضعاف الإسلام والتشكيك فيه، وكان ذلك حقدًا دفينًا ظهر فى إسبانيا الإسلامية، حين حاول إسماعيل بن التغريلة اليهودى مهاجمة الإسلام والنيل من رسوله العظيم ﷺ، وجاهر بأنه قادر على أن ينظم القرآن فى أشعار وموشحات يتغنى بها الناس فى الأسواق ثم زاد حقده على الإسلام والمسلمين فألف كتابًا يطعن فيه الإسلام وزعم تناقض القرآن[2].

فالصراع الدينى والحقد على الإسلام هو الذى دفع بحركة الاستشراق إلى هذا الاتجاه المغالى فيه، ونحن لسنا بغافلين عن موقف اليهود من الإسلام وقد قال فى ذلك الله عز وجل: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا...(٨٢)﴾ [المائدة]. فالعداء قديم والحقد أسود، ومن هنا نفهم أن العامل

---

(١) الدكتور محمد البهى، الفكر الإسلامى، ص ٣.

(٢) ابن حزم الأندلسى، رسالة الرد على ابن التغريلة اليهودى.

الدينى يهودى أم مسيحى كان دائمًا وراء الاستشراق طوال مراحل تاريخه، ولم يستطع أن يتخلص منه، وكان يسعى وراء ذلك إلى محاربة الإسلام، لأنهم يدركون أن الإسلام ينكر عقائد أساسية فى اليهودية والنصرانية، ويهاجمها وينتقدهما مثل عقيدة التثليث وعقيدة الصلب والفداء، كما أنهم لم ينسوا أن الدين الإسلامى قضى على اليهودية والمسيحية فى كثير من بلاد الشرق وحل محلها[1].

وإلى جانب ذلك كان الهدف السياسى ماثلاً أمام المستشرقين فى نشاطهم وحركتهم وكانت الدول الاستعمارية تستعين بهؤلاء المستشرقين فى رسم وتنفيذ سياستهم فى البلاد المستعمرة فضمهم الملوك إلى بلاطهم أمناء أسراره وتراجمه[2].

وأيضًا كانت هناك أهداف علمية من وراء حركة الاستشراق تسعى للتعرف على الأديان، وإدراك أن الإسلام دين سماوى قريب من الأديان الأخرى، فعمدوا إلى التعرف عليه ومعرفة أصوله ومميزاته، وكذلك كانت الأهداف التجارية من أهم أغراض المستشرقين الذين اهتموا بمعرفة طبيعة البلاد الشرقية الإسلامية، وأهم مواردها الزراعية والبشرية ليتمكنوا من الاستفادة من خيراتها، ومن هنا نجد أن المستشرقين فئات مختلفة كانت لهم اتجاهات وأهداف متنوعة:

١- فجماعة ظهرت فى بداية الاستشراق ولكنها لم تبق طويلا، واختفت من الساحة، وكانت تميل إلى كتابة الأساطير والخرافات عن الإسلام واخترعت القصص الكاذبة، وابتدعت الأباطيل المضللة التى تشوّه صورة الإسلام وتغير من حقيقته.

٢- وجماعة أخرى من المستشرقين كانوا مرتزقة فى خدمة الاستعمار يعملون من أجل تحقيق الأهداف التجارية والمصالح الاقتصادية للدول الاستعمارية فكانوا أداة الاستعمار فى الشرق العربى الإسلامى.

---

(١) د. إبراهيم اللبان، المستشرقون والإسلام، ص٣٤.

(٢) الدكتور محمود زقزوق، الاستشراق، ص٤٧، نجيب العقيقى، المستشرقون، ج٣، ص٤٦.

٣- وفريق آخر منهم أقبل على دراسة الإسلام تحت ستار البحث العلمى والنظر إليه على أنه أصل العلوم الطبيعية والفلسفية وحاولوا نقل هذه العلوم إلى أوربا للاستفادة منها[١].

٤- وفريق رابع ابتعد عن النزاهة العلمية والموضوعية وأخذ يتشكك فى الدين الإسلامى ويلفق التهم الباطلة له ولرسوله محمد ﷺ.

٥- والفريق الخامس اتصف بالحياد والموضوعية فى كتاباته عن الإسلام والمسلمين. وكانت لهم مواقف إيجابية ومن هؤلاء فردريك الثانى حاكم صقلية وابنه مانفرد. ثم زاد عدد هؤلاء المستشرقين الذين أخذوا يبحثون بأنفسهم عن حقيقة هذا الدين بدون آراء مسبقة، وكان الهدف العلمى وراء هذا الاتجاه الموضوعى الذى أنكر على كثير من المستشرقين وانحرافهم عن النزاهة العلمية بقول مونتجمرى وات فى هذا الصدد:

«جد الباحثون منذ القرن الثانى عشر فى تعديل الصورة المشوهة التى تولدت فى أوربا عن الإسلام. وعلى الرغم من الجهد العلمى الذى يذل فى هذا السبيل فإن آثار هذا الموقف المجافى للحقيقة التى أحدثتها كتابات القرون المتوسطة فى أوربا لا تزال قائمة. فالبحوث والدراسات الموضوعية لم تقدر بعد على اجتنابها».

وعبَّر المستشرق دانيل عن هذه الحالة بقوله:

«على الرغم من المحاولات الجدية المخلصة التى بذلها بعض الباحثين فى العصور الحديثة للتحرر من المواقف التقليدية للكتاب النصارى من الإسلام، فإنهم لم يتمكنوا أن يتجردوا منها تجردًا تامًا»[٢].

لقد ظل العداء بين بعض المستشرقين والإسلام وعقيدته وفلسفته واضحًا فيما كتبه المستشرقون؛ حتى أننا نجد إميل دير مانجيم يعبر عن ذلك الحال بقوله: «يجب

---

(١) الدكتور رمزوق، الاستشراق، ص٧٥-٧٦، العفيفى، المستشرقون، ج٣، ص٦٠٥.

(٢) الدكتور إبراهيم اللبان، المستشرقون والإسلام، ص٣٤.

الاعتـراف بأن إساءة الفـهم كانت من جـانب الغربيين أكـثر مما كانـت من جانب الشرقيين. . . ففـى الواقع أنه على أثر تلك المعارك العقلية العنيفة الـتى أرهق فيها الجدليـون البيزنطيـون الإسلام بمساوئ واحـتقارات - دون أن يتـعبوا أنفـسهم فى دراستهم - هب الكتـاب والشعراء المرتزقة من الغربيين وأخذوا يهـاجمون العرب، فلم تكن مهاجمتهم إياهم إلا تهمًا باطلة بل متناقضة[1].

لا يسعنا إزاء هـذه المواقف المتعصـبة والسـيئة من المسـتشـرقين إلا أن نركز جهودنا فى الرد على مواقفهم منا ونعـرض لما زعموه عنا فنورد بكل ثقة اتهاماتهم وادعاءاتهم الواحد وراء الآخر، ونرد عليها ونفندها من خلال الفكر الإسلامى ذاته ليثبت هويته وقدراته وأصالتـه وإمكاناته عن طريق المواجهة الفكرية الجادة والعرض الموضوعى لأهم قضاياه ومشكلاته. وأعمق مباحثه وفلسفاته.

(١) د. محمد غلاب، نظرات استشراقية، ص٩.

obeikandl.com